المفازة الموحشة

ساجدة الموسوي

كنتِ لي أصبعي
إذ أوْشرْ
وخفقة قلبي
حين أشعرْ
كنتِ مرآب روحي
بعينيك أنظرْ
وكنتِ التي لا أفكر وحدي
حين أخلو...
بل كلانا نفكّرْ
وما مرّ صبحٌ على بابِ قلبي
إلاّ ومني سلامٌ عليكِ
يُمسّي ويُبكرْ...

وافترقنا...
عند ضاحيةٍ من ضواحي الربيع...
بأوجِ الربيع
على هامش الوقتِ نمنا
كلانا افترقنا
وجاءت فصولٌ
ومرّت فصول
جاشت الريحُ
واشتدّ عصفُ الزمان..
قيل أسندت الريحُ كلَّ الصواري
لمرسى الأفولْ..
فنامَ الربيعُ فصولاً
ومرّ الشتاءُ سريعاً
فظلَّ الخريفُ.. وطالَ
وراحَ قليلاً
فعادَ وعدتُ
وكنتُ توهّمتُ أن الربيعَ أتى
فالتقينا

كل غصنٍ على سور قلبي
من الشوق طقطقْ
وكلُّ جناحٍ بعصفورةِ الروحِ
حلّقْ
وقلتُ: سألقاكِ
كعهدي بكِ الأمسَ

ومثل الظنون التي ابتسمت
في ظنوني..
أتيتُ...
فلا نخلتي تلك .. لا
إنها محضُ نخلة
ولا غابتي تلك
باتت مجرّد غابة..
لا الحديقة
لا المدينة...
يا وحشتي
فقد ضيّعتني المدينةْ
وتاه الرّبيع
فصرتُ أفتّشُ عن لؤلؤي
في بحار الخريف
سألتُ مراياي
ترى هل جرى طارئٌ لعيوني؟
فما عدتُ أنظرُ
في ما أرى
غير بحر الخريفِ
وذكرى شجوني؟
أم اني طرقتُ بلا حذرٍ
بابَ بيتٍ غريبٍ
توهّمتُ أني على بابها
واني سأنهلُ من مائها

وتنعمُ روحي بأفيائها؟..
أجل كان باباً غريباً..
وشلّ يدي الطَرْقُ
دون مجيبٍ
أيعقلُ أني توهّمتُ حقّاً..؟
هو ذاتُ الطريق الذي منه غادرتُ
وذي عينُ ضاحية الافتراق..
وذي غابتي
وذا بابها
وذي شارة كنتُ يوماً
بخطّيَ دوّنتها
أصابعيَ العشر
ذا طبعها
فماذا جرى؟
وماذا تغيّر؟
أهو باب غريبٌ
بوحشةِ هذا المساء أدقُّ؟
أم أن المفاتيح قد صدئتْ
من حلول الخريف الطويل؟
أريدُ اليقين..
فإن كنتُ واهمةً
سأعودُ إلى البحثِ عنها
وإن كان ذا عينَ بابي
وذي عينَ غابتيَ المدلهمّه
سأنزلُ خطوي وأرحل...
وقد
لا أعودُ
إليها

بغداد